مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn:2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 12/ العـدد: 01 (2024)، ص: 1252-1269

# التربية واستشراف المستقبل في فكر إدغار موران.

# Education and Future foresight in Edgar Morin's thought.

د. فاطمة الزهراء بن ماضي[1]

[1] جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله (الجزائر)،

fatiphilo88@gmail.com

تاريخ الاستلام: 15 /2023/10 تاريخ القبول: 2024/02/14 تاريخ النشر: 2024/03/03

**الملخص:**

تبحث هذه الورقة مسألة التربية المستقبلية من وجهة نظر الفرنسي إدغار موران وذلك في سياق منهج التعقيد الذي راهن عليه باعتباره منهجا جديرا ببناء تربية استشرافية. ومن هنا نتساءل: هل المقاربة التي يدافع عنها موران تصور غير مألوف في الحقل التربوي المعاصر؟ ولماذا يقدم موران التربية كرهان مستقبلي؟.

**كلمات مفتاحية:** التربية، استشرافية، المستقبل، منهج، التعقيد.

**Abstract :**

This paper examines the issue of future education from the viewpoint of viewpoint of Frenchman, Edgar Morin, in the context of the complexity approach that he wagered in as an approach worthy of building forward-looking education. So we are wondering: Is the approach advocated by Morin an unusual conception in the contemporary educational field?, Why Morin offers education as a future bet?.

**Keywords:** Education, forward-looking, Future, complexity, approach.

**المؤلف المرسل: فاطمة الزهراء بن ماضي**

**1. مقدمة:**

يعتبر موضوع التربية من المواضيع الأكثر دراسة في الفكر المعاصر، لأنها عملية إنسانية تهدف إلى الحصول على الإنسان السوي والذي تتناسب أفكاره مع متطلبات المجتمع المعاصر، و بما أن هذا الأخير أصبح يعاني من التخلف في مختلف المجالات، استدعى الأمر ضرورة إعادة الهيكلة للمجتمع انطلاقا من الفرد باعتباره الركيزة التي يقوم عليها المجتمع من أجل الخروج من الأزمات التي يعاني منها، ولا يتم ذلك إلا من خلال التربية والتي تعد قاعدة صلبة يقوم عليها كل مجتمع متحضر، لذلك نجد الكثير من الفلاسفة والمفكرين شغلتهم قضية التربية لأنها النقطة الأساسية التي بواسطتها فقط تصل المجتمعات إلى ذروة التقدم. ويعد الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي المعاصر إدغار موران من أبرز المفكرين الذين اهتموا بدراسة التحديات التي تواجه التربية اليوم، ومحاولة تبيان معنى التربية المستقبلية وسماتها وشروطها، وعرض مناهج البحث فيها بغية تحديد كيفية الاستفادة منها في إحداث التغيير وتطوير الحضارة، منطلقا في ذلك من استشراف المستقبل ومحاولة رسم ملامحه المجهولة وذلك بإدخال إصلاحات تربوية شامله. من هنا نتساءل: هل يمكن اعتبار التربية كرهان لاستشراف المستقبل في فكر إغار موران؟ وما مفهوم التربية عند إدغار موران؟، وماهي مبادئها؟.

**2. مفهوم التربية:**

تعتبر التربية من أهم العوامل التي يقوم عليها التغيير الاجتماعي، لذلك تعرف التربية في موسوعة "لالاند" الفلسفية ب "تهذيب، تأديب" (لالاند، 2001، صفحة 322)، كما نجد مصطلح التربية éducation يتقابل مع مصطلح التعليم enseignement/ instruction، وعرف لالاند التعليم ب "عملية توصيل معارف لشخص ما، والتربية تقال بنحو خاص على تنمية العادات السلوكية والحياة

الأخلاقية. جملة معارف تكتسب بالدرس أو التعلم" (لالاند، 2001، صفحة 681). للتربية دور كبير وهام في تكوين الفرد والمجتمع، فهي تهتم بالسلوك الإنساني، وتعمل على تغيير نمط حياته.

ولقد ورد في المعجم الفلسفي "لجميل صلبا" أن التربية هي "تبليغ الشيء إلى كماله أو هي تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا" (صليبا، 1982، صفحة 266)، أي إنماء مختلف المهارات الإنسانية سواء الذهنية أو البدنية، وحتى النفسية. فالتربية هي العملية الاجتماعية التي يخضع الأفراد من خلالها لتأثيرات بيئية أو وسط منتقي مضبوط كالمدرسة مثلا، وذلك حتى يمكن لهم أن يحققوا كفاءتهم الاجتماعية. فالفرد يتعلم من المحيط الذي يعيش فيه، من خلال تجاربه الخاصة، وكذا الأسرة (الوالدين)، والمدرسة، وكذلك من خلال الإطلاع على مختلف الكتب من الشعر والأدب وغيرها، فالتربية عند هي كيفية العيش. ويرى موران أننا كيف نعيش أمر نتعلمه من خلال تجاربنا الخاصة بمساعدة الأبوين أولا فالمربين ثانيا، وأيضا بواسطة الكتب واللقاءات وغيرها، فالتربية هي تعليم فن الحياة، أي تعليم الإنسان كيفية العيش بشكل عقلاني، لذلك علينا تعلم فن الحياة داخل البيئة الاجتماعية التي نعيش فيها وذلك من أجل تفادي وقوع أزمات في المستقبل، وللتأقلم مع فن الحياة يقول موران: "أن نعيش، يعني أن نعيش باعتبارنا أفرادا نواجه مشاكل حياتنا الخاصة، أن نعيش أيضا باعتبارنا مواطنين ينتسبون إلى أمة ما، ويعني كذلك أن نعيش في إطار انتمائنا الإنساني" (موران، 2016، صفحة 17)، أي أن التربية تجعل من المصير المشترك للإنسانية هدفها الأول، إذ علينا كأفراد أن نواجه مشاكلنا دون الهروب منها، والبحث عن حلول مناسبة لها، وأن نعرف كيف نقرأ ونكتب من أجل الاندماج في الحياة الاجتماعية، لأن التعليم المختص من تاريخ وأدب وفلسفة ورياضيات يعتبر ضروري للحياة المهنية. إلا أن موران لا يقصد بالتربية تعليم القراءة والكتابة والحساب فقط، ولا تعلم المعارف الأساسية في التاريخ

والجغرافيا والعلوم الاجتماعية وغيرها من العلوم فحسب وإنما قصد إدراج ثقافة أساسية تتضمن طرائق معرفة المعرفة بقوله: "بات من الحيوي أن ننزل في نطاق التربية معرفة المعرفة منذ الصفوف الابتدائية وحتى الجامعة" (موران، 2016، صفحة 19)، ولقد وظف موران التعليم للتعبير عن التربية وهذا في الحقيقة نجده عند علماء التربية والفلاسفة حيث يعتبرون التربية مرادفة للتعليم، "كجون بياجي"، و"جون ديوي" الذين يرون أنه لا توجد عملية تربوية دون تعليم ولا يوجد تعليم دون تربية، ونجد "جون جاك روسو" في كتابه "في التربية" يستعمل عبارة التعليم بدلا من التربية، حيث يقول المعلم عن تلميذه "أريد أن أعلمه كيف يحيا"، فمشروع التربية عند موران يسعى إلى: "غايات تعليمية ليس فقط من خلال فهم الحاضر والمستقبل وإنما بتحديد المكانة البارزة للماضي" (موران، 2009، صفحة 14)، فبراديغم التعقيد يستطيع أن يرسم معالمه في الحقل التربوي بربط العلاقة بين الماضي والحاضر والمستقبل، والخلاصة التي ينتهي إليها في الفصل الثالث من كتابه "تربية المستقبل أنه يجب على كل تربية وتعليم يبغيان استشراف المستقبل، تجاوز التجزيء والفصل المؤذي، والتأسيس لفعل بديل ينبني على ضرورة الاعتراف بالطابع المعقد للإنسان، فالتربية هي الفن الذي بواسطته يتوافر لكل جيل معرفة الماضي بصورة منتظمة ومنه معايشة الحاضر والتطلع للمستقبل.

وبهذا تحتل التربية مكانة مرموقة في أنماط الحياة فهي قوة المستقبل ورهانها، لأن في سياقها رؤية لوحدة الفكر المعقد، وذلك من خلال إعادة النظر في المنظومات التربوية المعاصرة، وصياغة مفهوم جديد للتربية من أجل مستقبل أفضل للعيش.

فلإصلاح التربية يجب إصلاح الفكر أولا لكي نتمكن من مفصلة وتنظيم المعارف وهذا الإصلاح يجب أن يكون منظوماتيا وليس برنامجيا، وهذه هي قضية التربية الأولى لأنها تتعلق بقدرتنا على تنظيم المعارف، من أجل اكتساب ثقافة العيش المشترك وبناء مستقبل للإنسانية. أي أن الحديث عن إصلاح الفكر يقودنا للحديث

عن التربية بوصفها أساس استشراف المستقبل، وهذا يقودنا إلى عرض تلك المبادئ التي يعتبرها موران ضرورية لتربية المستقبل والتي قام بتحديدها في سبع مبادئ.

**3. مبادئ التربية:**

**3. 1. تنقية المعرفة من الخطأ والوهم:** ارتبطت المعرفة على مر الزمان بأوهام كوهم التجزيء والاختزال والفصل، الذي استندت إليه العقلانية الغربية الكلاسيكية، إلا أن تحطيم ثنائية فكر- دماغ ومحاكاة الصيرورات الذهنية آليا فرض إعادة وصل المعارف التي كانت مفصولة سابقا، فموران يعالج في كتابه "المنهج، معرفة المعرفة" شروط وإمكانات وحدود المعرفة الإنسانية المستخلصة من طبيعة الإنسان الدماغية، والروحية، والثقافية، ويقول: "على المعرفة أن تعرف نفسها لأن الخيالات والأوهام سيطرت على الفكر الإنساني على مر التاريخ" (morin, 1986, p. 9)، وبما أن المعرفة هي خاصية إنسانية فهذا يعني أنها معرضة للخطأ فغالبا ما تستخدم المعرفة للدلالة على ما تم الوصول إليه من حقائق مجردة عن طريق التفكير، أو حسية عن طريق التجارب والخبرات، وبما أن هذه المعارف تصلنا عن طريق العقل أو الحس فإنها لا تخلو من الخطأ والوهم وفي هذا يقول موران: "المعرفة الإنسانية لا تتصف باليقين وكثيرا ما تقع في الأخطاء، وكل معرفة هي ترجمة لما تنقله الحواس إلى العقل/ الدماغ والذي يعيد بناءها فيحدث الإدراك Perception"(Morin, 2014, p. 74) ، وعليه فكل معرفة معرضة للوقوع في الخطأ والوهم، لذا وجب على التربية مواجهة هذا المشكل المعرفي المزدوج، فالخطأ لا ينفصل عن المعرفة الإنسانية لذلك لم يستطع الإنسان يوما الوصول إلى اليقين في المعرفة، لأن الطبيعة البشرية تخطئ وتصيب، إضافة إلى أن العقل الإنساني غير قادر للوصول إلى اليقين المطلق في المعرفة، فرصد المعرفة في العصر المعاصر وتمثلاتها هو محاولة جد صعبة لما فيها من تعقيدات، لكن مهما بلغت الصعوبة فينبغي الاجتهاد إلى بلوغ تلك المعرفة من أجل رصد مشكلات العالم والسعي إلى حلها، فالفكر البشري كان على الدوام تحت

قبضة الأخطاء والأوهام، وأنهما لا يتوقفان عن التشويش على الفكر البشري منذ نشأة الإنسان، فرغم التطورات العلمية المعاصرة إلا أنها تحمل في طياتها "المجهول الذي يتحدى عقلنا ومنطقنا ومفاهيمنا لذا وجب على الفكر أن يكشف عن الأخطاء والأوهام التي تفرض نفسها على أنها الحقيقة" (Morin, 1994, p. 253) لذلك كان لزاما على التربية التخلص من الأخطاء والأوهام التي تهدد المعرفة، لأن هذه الأخيرة ليست منزهة عن الخطأ، لذا يتوجب على المؤسسات التعليمية أن تسعى إلى تطوير المعارف الإنسانية المتغيرة بتغير الزمان والمكان، فلا المعرفة الحسية صادقة صدقا مطلقا، ولا العقل بأحكامه واستنباطاته المنطقية يطابق الواقع دائما، لهذا وجب محاولة تنقيتها بدل تجزئتها من أجل معرفة ملائمة.

**3. 2. المعرفة الملائمة (إصلاح الفكر):** يهدف موران من وراء إصلاح الفكر إصلاح التربية وذلك وفقا للنموذج المعرفي التركيبي الذي يسعى إلى تطوير المعرفة التي تكون قادرة على رفع رهانات المستقبل. فالمعرفة الغربية التي جاء بها ديكارت القائمة على نموذج التبسيط والفصل "حاولت الفصل بين الإنسان والطبيعة أو اختزال الإنسان في الطبيعة، أي أنها تقوم على فصل الذات عن الموضوع، وحصر كل طرف داخل منظومة ضيقة"(Morin, 1999) أي تنظيم المعرفة بطريقة ملائمة مع مستجدات العصر، ومواكبة مختلف التطورات خاصة العلمية، فالمشكل بالنسبة للإنسان المواطن في نظر موران هو "كيفية الحصول على المعلومات حول العالم، وكيفية اكتساب كفاءة تقطيعها وتنظيمها، الأمر الذي يستدعي "إصلاح الفكر" أي ملئ الثغرات التي يعرفها الفكر الإنساني بفكر التعقيد" (تيبس، 2000، صفحة 19)، فإصلاح المعرفة يتطلب إصلاحا للفكر ولإصلاح هذا الأخير يتطلب بدوره تفكيرا يعتمد على ربط المعارف بعضها ببعض وربط الأجزاء بالكل، والكل بالأجزاء. يقول موران: "إصلاح المعرفة هذا يتطلب طابعا إبستيمولوجيا تفكريا بحيث يتعلق الأمر من الناحية الإبستيمولوجية بالاستعاضة عن البراديغم الذي يفرض المعرفة القائمة

على الفصل والاختزال ببراديغم يتطلب معرفة قائمة على التمييز والوصل" (موران، 2019، صفحة 20)، وبهذا ينبغي على المعرفة أن تكون ترابطية، كونية، متعددة الأبعاد، وللوصول إلى معرفة ملائمة يجب أن تعمل التربية بمبادئ أربعة وهي السياق، والشمول، المتعدد الأبعاد، المركب.

**أ. السياق:** تعد فكرة السياق ضرورية لإنتاج معرفة صحيحة وواضحة ومنه يجب أن يتحول التفكير من الاهتمام بالمعيار إلى الاهتمام بالسياق الذي تتموضع فيه اللغة من أجل فهم كامل وشامل لها، فالمعرفة داخل السياق تكون متسلسلة ومرتبطة بعضها ببعض، فعندما نقول مثلا هذه العبارة جاءت في سياق الكلام معناه أنها جاءت متفقة مع مجمل النص الذي وقعت فيه، ويتغير معنى الكلمات بحسب السياق الذي وضعت فيه، فكل معرفة تعتمد على معطيات معزولة تظل ناقصة وغير يقينية، لذلك يجب على التعليم أن يموضع المعارف والمعطيات داخل سياقها، فكل كلمة تحتاج أن يكون لها معنى داخل النص الذي وجدت فيه، ويقول موران: "يجب موضعة المعارف والمعطيات داخل سياقها حتى يكون لها معنى فكل كلمة تحتاج لكي يكون لها معنى إلى نص الذي هو سياقها الخاص، ويحتاج النص إلى سياق حتى يكون بالإمكان إنتاجه" (موران، 2002، صفحة 36).

**ب. الشمول:** لقد جعل موران من فكرة الشمولي ضرورية في كل تربية مستقبلية، وهذا من أجل ترسيخ فكرة الكونية بإدخالها في مناهج التعليم وهي تجسد لنا مبدأ من مبادئ فكره المعقد وهو مبدأ الهولوغرام، ويتمثل الشمولي في العلاقات بين المجموع وأجزائه ويعرفه موران بقوله: "يشير الشمولي إلى أكثر من السياق، إنه المجموع الذي يضم أجزاء مختلفة ترتبط إما بعلاقة ارتدادية أو تنظيمية" (موران، 2002، صفحة 36)، ومنه فمعرفة الأجزاء تتطلب معرفة الكل، ومعرفة الكل لا تكون إلا عن طريق الأجزاء. فإدراك العلاقة التي تجمع الكل بالجزء يساعد في بناء معرفة محسنة أكثر مما كانت عليه، كما أن الطابع التجزيء للمعرفة هو عائق أمام معرفتنا

للمعرفة ولأنفسنا، والعالم في كشوفات مستمرة دائما تحمل بين طياتها جهالات جديدة، سلطة تتحكم فينا ولا نتحكم فيها، فنحن هنا أمام مشكل حضاري في ظله تخرج المعرفة عن السيطرة وتصبح تهديدا لمستقبل الإنسانية.

**ج. مبدأ المتعدد الأبعاد (اللامفصول):** يقوم هذا المبدأ على أن الأشياء تقوم على أبعاد متعددة وعلى التربية المستقبلية أن تعترف بهذا التعدد وأن تسعى إلى تطبيقه بهدف إصلاح المعرفة، فهذه الأخيرة ظاهرة متعددة الأبعاد ولا مفصولة عن الثقافة والمجتمع ويقولموران في هذا الصدد: "المعرفة حقا ظاهرة متعددة الأبعاد، بمعنى أنها فيزيائية وبيولوجية ودماغية وذهنية ونفسية وثقافية واجتماعية في الآن نفسه وبشكل متلازم" (موران، 2013، صفحة 24). وتعتبر الوحدات المركبة كالكائن البشري أو المجتمع وحدات متعددة الأبعاد وعلى المعرفة الملائمة أن تعترف بالفكرة المتعلقة بالتعقيد وتعدد الأبعاد، فالكائن البشري هو في الوقت ذاته كائن بيولوجي ونفسي واجتماعي ووجداني وعقلاني، والمجتمع يضم أبعادا تاريخية وسوسيولوجية ودينية، وهذا المبدأ ينتج لنا معرفة متنوعة ومتكاملة من جميع النواحي، ويكشف في الآن نفسه خفايا التعقيد ولهذا لا يمكن اختزال المعرفة في مستوى واحد، بل يجب أن نتصور فيها أشكالا ومستويات عديدة.

**د. مبدأ المركب:** التركيب هو تلك العلاقة التكاملية التكرارية الحوارية بين العناصر المعرفية، وهذا المبدأ ينظر في علاقة الترابط والتفاعل بين الأجزاء، إذ لا يمكن بناء معرفة ملائمة لأي أزمة سواء كانت اقتصادية، سياسية، ثقافية، تربوية ... بمعزل عن البحث في باقي العناصر المكونة للكل، فيلزم دراسة البعد الاجتماعي والأخلاقي والنفسي، ومنه لزم الأخذ بعين الاعتبار علاقة الترابط والتفاعل والارتداد بين موضوع المعرفة وسياقها، أي بين الجزء والكل، وبين الكل والأجزاء، وبين طبيعة العلاقة بين تلك الأجزاء، ولهذا يرى موران أن مهمة تربية المستقبل أن تطور هذه

المهارات، وأن تضع في الحسبان أن مستجدات وتطورات عصرنا الكوكبي تضعنا أكثر فأكثر وبشكل لا رجعة فيه أما تحديات ما هو معقد.

**3. 3. تعليم الشرط الإنساني:**

يؤكد موران أن من أهم مظاهر الإصلاح التربوي تكمن في تعليم الشرط الإنساني ومفاده أننا بحاجة إلى فكر جديد يُعرف الإنسان بماهيته ولا يسلبه إياها أو يحدده في جزء منها لذلك نجده يقول: "من المفروض أن تشتمل التربية على تعليم أولي وكوني يختص بالشرط الإنساني. لقد دخل البشرية تجربة العصر الكوكبي خصوصا أن مغامرة مشتركة توحد بينهم أينما كانوا، عليهم أن يتبادلوا الاعتراف بإنسانيتهم المشتركة كإطار موحد لهم. عليهم أيضا أن يأخذوا بعين الاعتبار ويحترموا تنوعهم الفردي والثقافي" (موران، 2002، صفحة 45)، فتعليم الشرط الإنساني ينبغي أن يكون الغاية الجوهرية من كل تعليم، ومن الضروري موضعة الإنسان في الكون، وعلى تربية المستقبل أن تعتمد على فكر التعقيد القائم على النظر للإنسان ككائن متعدد، كما عليها أن توسع فكرة التنوع البشري دون المساس بفكرة الوحدة، فحسب موران أن الوحدة المعقدة التي تشكلها الطبيعة الإنسانية تم تفكيكها في التعليم من خلال التخصصات حيث يقول: "في الوقت الراهن لا تستطيع المعرفة أن تفكر في ذاتها بسبب مايلي: الدماغ الذي تنطلق منه يدرس في أقسام العلوم العصبية، العقل الذي يكونها يدرس في أقسام علم النفس، الثقافة المرتبطة بها تدرس في أقسام علم الاجتماع، المنطق الذي يتحكم بها يدرس في إحدى أقسام الفلسفة. هذه الأقسام لا تتواصل فيما بينها من الناحية المؤسساتية" (morin, 1991, p. 13)، فالتعليم مقسم تقسيما إداريا وليس علميا وهذا ما أدى إلى تشويه المعرفة. وبالتالي على تربية المستقبل أن تسعى إلى نفي الازدواجية عن الإنسان و تعمق مفهوم الوحدة والتنوع البشريين لديه وأن تهتم بالوحدة الإنسانية بقدر ما تهتم بالتنوع الإنساني، لذلك ينبغي إدراك وحدة المتعدد وتعدد الواحد، فعلى التربية

أن تبرز مبدأ الوحدة/ التنوع في جميع الميادين لأن الإنسان يحمل داخله خصائص الوحدة وكذلك خصائص التنوع. فالكائن البشري يحمل خصائص مشتركة بين جميع البشر وهذه الخصائص الدماغية والذهنية والعقلية والنفسية والوجدانية هي في الوقت نفسه تعكس تفرده ككل كائن بشري.

ويبين موران من خلال الشرط الإنساني أن الإنسانية لا يمكن أن تتحقق بشكل كامل إلا من خلال تنوع الثقافات وعلى التربية المستقبلية دمج ثقافات المجتمعات فيما بينها دون أن تقصي إحداهما الأخرى. فلقد فرض التطور الحاصل تجزيء العلوم ومن ثمة إقصاء البعد الإنساني ليصل إلى فسيفساء متنافرة، فاقدة لشكلها الحقيقي، وهنا يطرح مشكل إبستيمولوجي يتعلق باستحالة فهم الوحدة من خلال فكر التجزيء الذي ينظر إلى إنسانيتها بطريقة متجزئة، ودون أخذ الكون المحيط بنا والمادة الفيزيقية المكونة والأفكار التي نحملها بعين الاعتبار، ويقول موران في هذا الصدد: "إن المنهج العلمي يقصي المجتمع والثقافة من العلم الفيزيائي البيولوجي، وأصبحت العلوم الإنسانية غير قادرة على إدماج الإنسان والمجتمع في الفيزياء"(Fortin, 2000, p. 4) ولذلك فإن فحوى التربية تكمن في تكامل التربية مع نشاطات الإنسان الأخرى، فالحديث عن الشرط الإنساني يحيلنا للحديث عن الإنسانية جمعاء، أو إلى العصر الكوكبي على حد تعبير موران الذي فرضته العولمة. ولهذا العالم اليوم بصدد الحديث عن مصير مشترك وهوية أرضية.

**3. 4. تعليم الهوية الأرضية:**

من بين المواضيع البارزة التي يجب على التعليم أن يشملها في القرن الواحد والعشرين، ضرورة الاعتراف بالهوية الأرضية التي أصبحت ضرورية لكل واحد منا، لأن العصر الذي نعيشه هو عصر العلم والتكنولوجيا، حيث يتوالى تراكم الكشوف والنظريات العلمية وتطبيقاتها التكنولوجية والمعلوماتية، وهذا ما فرضه عصر العولمة، وعليه يجب تعزيز المواطنة الأرضية، والتوعية بالأزمة التي تهدد الأفراد بأنها

أزمة بشرية مشتركة، ففلسفة موران هي فلسفة كوكبية تهتم بالمصير المشترك للإنسانية، لذلك يجب أن تكون هناك تربية تسعى إلى ثقافة جديدة أو ما يعرف بعولمة التربية، وتعزيز قيم المواطنة عن طريق تيارات التجدد، ومن هذا يجسد موران تصوراته الداعية إلى توحيد المعرفة الإنسانية من أجل توحيد مصير الإنسان والفرد، والمصير الاجتماعي والتاريخي، وكل المصائر المتناثرة بلا نظام، أي تلك هي الرهانات الأساسية لتربية المستقبل، كما يتصورها" (موران، 2002، صفحة 124)، ومن ثمة فدور التربية هو تعميق الاشتراك بين البشر دون ترجيح أحد على الآخر، وأن تكون هناك علاقة اتصال بين الإنسان وأخيه الإنسان، وكذا تعليم الإنسان كيفية العيش داخل إطار اجتماعي دون التخلي عن شروط الهوية المشتركة. ويقترح موران "تفعيل فضيلة التعاطف بين الذوات وبناء هوية مركبة كحل للوضعية البائسة التي يمر بها الناس اليوم، نتيجة تنامي العوامل المؤدية إلى التحطيم والانحلال، ويحدد التعاطف على أنه مسار اتخذ صورة مشروع من أجل تشكيل هوية متطورة وتفاعلية" (زهير، 2013، الصفحات 1422- 1423)، أي ضرورة الإحساس بالآخرين والتفاعل معهم من أجل ترقية وتحسين العيش المشترك.

**3. 5. مواجهة اللايقينيات:**

يرى موران من خلال هذا المبدأ أن العلوم قدمت لنا مجموعة من الحقائق اليقينية، إلا أن القرن العشرين كشف لنا عدد لا يحصى من اللايقينيات التي أفرزتها العلوم الفيزيائية كالميكروفيزياء، والديناميكية الحرارية، والكوسمولوجيا، وأيضا علوم التطور البيولوجي وغيرها، أصبح العالم الإنساني تواجهه اللايقينيات من كل الجهات لذلك يقول: "يجب تعلم مواجهة اللايقينيات، لهذا الغرض على التربية أن تعترف باللايقينيات المتعلقة بالمعرفة" (موران، 2002، صفحة 78)، وهذا يعني أنه علينا الاعتراف بالطابع اللايقيني لقوانين التاريخ فكثيرا ما نشهد من خلال مجرى التاريخ أن الممكن يصبح مستحيلا، وأن اللامحتمل قد يتحقق أكثر من

المحتمل، فموران يدعونا لأن نتعلم كيف نأمل بتحقيق الأشياء التي تبدو من ظاهرها غير مأمول بها، وأن نتعلم كيف نراهن على ماهو غير محتمل.

لقد كان موران مطلعا على تطور نسق العلم منذ الأصول الأنثربولوجية القديمة إلى الفترة المعاصرة، وبذلك حاول نقل مبدأ اللايقين المنطقي "لهايزنبرغ" من مجال الميكروفيزياء إلى مجال الماكروفيزياء وذلك من أجل إعادة قراءة الواقع الإنساني ورفع التناقض ونفيه عنه، لكن دون طرد وتجاوز مبدأ البساطة بل بمعنى إعادة إدماجه داخل نسق التعقيد، الذي يقر بالوصل لا بالفصل، فأساس فكر التعقيد هو التواصل المثمر البناء بين مكونات جميع الظاهرة المدروسة. لذلك نجد موران يقول: "إن إدخال اللايقين في الواقع لا يعني أن كل ما في الواقع غير يقيني، فنحن مقودون لنبحر في محيط من اللايقين خلال جزيرات وأرخبيلات من اليقين، إذ يوجد عدد كبير من اليقينيات المحلية والجزئية والجذرية تساعدنا على الإبحار، لكن على الرغم من ذلك فلا ينبغي أن ننسى اللايقين أبدا" (موران، 2012، صفحة 134)، ومنه فموران لا يقصي اليقين وإنما يعترف به إلى جانب اللايقين، وبسبب التطور المتسارع وطبيعة كوكبنا المعقدة هذا ما يجعل من معارفنا التي نكتسبها نسبية وغير يقينية. ولكي لا يصعب علينا فهم هذا الواقع والعالم المعقد رأى موران أنه على تربية المستقبل أن تضع الخطوط الأمامية لمواجهة لايقين عصرنا، وأن تعلم البشرية ممارسة فضيلة توقع اللامتوقع لمواجهة تحديات المستقبل.

**3. 6. تعليم الفهم:**

انطلق موران أثناء تناوله للمعرفة السادسة الضرورية لتربية المستقبل من الفهم la comprehension لأنه يرى أن عصرنا أصابه الكثير من سوء الفهم جراء أنموذجي الفصل والاختزال، كما أن غياب الفهم عن المؤسسات التربوية هو إحدى الأسباب الرئيسية لتمزق العالم، وغياب السلام في المجتمعات، فالفهم هو السبيل للاعتراف بالآخر والتواصل بين بني البشر، لذلك يعتقد موران أن مشكل الفهم

مشكلا أساسيا بالنسبة للجميع، لذلك يشيد بضرورة اقتناء أخلاق الفهم من أجل تواصل سليم ويقول في ذلك: "إن كوكبنا يتطلب أنواعًا من الفهم المتبادل في جميع المستويات و على جميع الأصعدة و بالنظر إلى أهمية التربية على الفهم على جميع المستويات التربوية و كل المراحل العمرية فان الفهم يقتضي إصلاحا للعقليات" (موران، 2002، صفحة 18)، ومنه فالفهم الإنساني هو هدف من أهداف العلم، وهو إحدى التحديات الكبرى للتربية في المستقبل التي يدعو إليها موران وهذا بعد ملاحظته أن كل معارفنا خاضعة لسوء الفهم، وذلك نتيجة الدوغمائيات المختلفة من فردية إلى أخرى ثقافية، حيث تؤدي الأولى إلى التمركز حول الذات دون فتح الباب لفهم الآخر، وتؤدي الثانية إلى الانقسام السياسي والاقتصادي والاجتماعي بين الشعوب والدول متناسية بذلك هويتها الإنسانية المشتركة، ومنه نجد موران يفرق بين نوعين من الفهم:

أ. **الفهم العقلي أو الموضوعي:** حيث يقول: "فالفهم يعني عقليا أن نصل إلى ضبط واستيعاب شيء ما، (ضبط واستيعاب النص وسياقه، الأجزاء والكل، التعدد والواحد). يشترط الفهم العقلي الوضوح والتفسير" (موران، 2002، صفحة 88)، فالفهم سواء كان عقليا أو موضوعيا هو فهم ذهني متعلق بالأشياء سواء كانت مادية أو مجردة، أي أن نفهم معنى كلام الآخرين، وأفكارهم، وكذا رؤيتهم للعالم.

**ب. الفهم الإنساني البين- ذاتي:** هذا النوع من الفهم يتجاوز حدود التفسير، يقول عنه موران: "يحتوي الشكل الآخر من الفهم، وهو الفهم الإنساني، على جرعة من الذاتية لابد منها. وهذا الفهم هو في الوقت نفسه وسيلة التواصل البشري وغايته" (موران، 2016، صفحة 69)، وهذا الفهم خاص بمدى معرفة الذات الإنسانية لذات إنسانية أخرى مماثلة لها، وبالتالي يحيل الفهم الإنساني على معرفة الذات للذات، ويكون ذلك من خلال الشعور بها والتقرب منها بدافع الانفتاح على الآخر والتعاطف معه. فالإنسانية بحاجة لعولمة الفهم التي تجعلها تنفتح على الآخر من أجل التواصل

معه، لأننا نعيش في عالم كوكبي وهذا العالم يتطلب منا "أنواعا من الفهم المتبادلة في جميع المستويات التربوية، فالفهم المتبادل بين البشر مسألة حيوية لإخراج العلاقات الإنسانية من حالتها الهمجية.

**3. 7. أخلاق الجنس البشري (الثالوث الإنساني):**

يقتضي فهم الأبعاد المتشابكة للوجود الإنساني طرح سؤال الهوية الإنسانية من خلال ماهو إنساني ومن خلال ماهو لا إنساني، كما يقتضي الاهتمام بدراسة الإنسان كفرد ومجتمع ونوع، وليس كمعطى قبلي وجاهز، فالفرد مستقل من خلال أفكاره الخالصة وإحساساته، وقراراته، لكن هذه الخصوصية وهذه الاستقلالية حرية مشروطة بثقافة المجتمع وأوامره ونواهيه، كما أن الإنسان مشدود إلى النوع بالوراثة، وبالتالي فنحن نشترك في صفة الإنسانية كأصل ومعيار موحد، ويتضمن التصور المعقد للجنس البشري عند إدغار موران مبدأ الثالوث "الفرد-المجتمع-النوع"، حيث يقول: "يعرف الإنسان في البدء على أنه ثالوث متكون من الفرد-المجتمع-النوع. والفرد طرف في هذا الثالوث" (موران، 2009، صفحة 66)، وهذا يعني أنه لا يستبعد واقع الفرد، أو واقع المجتمع، أو واقع نوعنا البيولوجي أحدهما الآخر. ويرى من خلال هذا المبدأ أن الأفراد هم أكثر من مجرد نتاج لصيرورة تعمل على إعادة إنتاج النوع البشري وإنما يعتبر هذه العناصر الثلاث عناصر متكاملة غير مفصولة عن بعضها البعض فكل واحد من هذه المكونات يعتبر وسيلة وغاية بالنسبة للمكونات الأخرى، ومنه يجب أن يفضي التعليم إلى "أنثروبو-أخلاقية وذلك بالأخذ بعين الاعتبار الطابع الثلاثي الأبعاد للشرط الإنساني، الفرد/المجتمع/النوع وعلى أن يكون ذلك في الوقت نفسه، وما يعنيه موران بالأنثروبو-أخلاقية أو أخلاق الجنس البشري، أن تكون الأخلاق الإنسانية مكونة من الثالوث من أجل إبراز الوعي بفكرنا الإنساني المحض، أي الوعي بالهوية المعقدة للإنسانية التي تفرض على الفرد الانفتاح على باقي مكونات هويته. فالتدريس يجب أن يؤدي إلى تشكيل الوعي بهذه

الأبعاد الثلاث الفرد/ المجتمع/ النوع. في آن واحد. أي يجب على كل واحد منا أن يحمل داخله هذه الأبعاد الثلاث ومنه فالمعرفة المجزأة في إطار الإبستيمولوجيا الكلاسيكية لا تستطيع استيعاب هذا التكامل والصراع داخل العلاقة "فرد/ نوع/ مجتمع"، بينما إبستيمولوجيا التعقيد هي الوحيدة القادرة على ذلك من خلال العلاقة الارتدادية الهولوغرامية بين هذه العناصر.

فالتعليم الذي يبدأ من تخصصات منفصلة عن بعضها لا يوفر سبلا لمعالجة المشاكل الكبرى، فكل إصلاح منفرد عن الاصطلاحات الأخرى سيكون محكوما عليه بالفشل فلا الإصلاحات السياسية لوحدها كافية ولا الإصلاحات الاقتصادية ولا الإصلاحات التربوية ولا إصلاحات الحياة لوحدها كافية، ولا يمكن لأي إصلاح أن يتطور إلا في ظل الإصلاحات الأخرى، وذلك لأن كل السبل الإصلاحية حسب موران متلازمة ومتفاعلة ومترابطة. ويقول: "لن يكون هناك إصلاح سياسي من دون تقويم للفكر السياسي الذي ينطوي بدوره على إصلاح للفكر نفسه وهذا الأمر يتطلب بدوره إصلاحا للتعليم" (موران، 2019، صفحة 8)، فالعناية بالتربية والتعليم يمثل رهانا حقيقيا بالنسبة إلى كل الدول التي تنشد النهوض والتقدم والارتقاء بالحياة نحو الأفضل، وهذا يفترض أن تكون كل مبادرات التجديد لها علاقة ببعضها البعض فلا تلتمس التجديد الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي أو المعرفي أو الإيتيقي أو الوجودي إلا إذا كان مترابطا غير متجزئ ولا منفصلا مشتتا. وعليه يدعو موران إلى أن يحل محل هذا النمط التعليمي نظام تعليمي جديد يقوم على تخصصات متصلة فيما بينها ويختلف اختلافا جذريا عن التعليم الحالي. ومنه ففكر التعقيد يمكن من تطوير القدرة على الاستجابة بطريقة ملائمة للوضع الجديد. أي أن إصلاح التعليم بتعدد جوانبه لا يمكن فصله عن إصلاح الفكر، فالتطور السريع للمعارف حسب موران يجعل من الضروري القيام بإعادة تأهيل ما بعد-مدرسي أو ما بعد –جامعي، وذلك ليس من أجل المعارف فقط وإنما من أجل المشاكل المتعلقة بالعولمة

والإيكولوجيا والاقتصاد وغيرها. وفي هذا الإطار يمكن القيام بتربصات دورية داخل المعاهد الثانوية أو الجامعات، كما يمكن تعميم المبادرات لجميع الفئات العمرية.

**4. خاتمة:**

وأخيرا يمكن القول أن التجديد الذي صاغه موران على المستوى المعرفي هو تجديد فريد من نوعه، أراد من خلاله أن يخطو خطوة إلى الأمام من خلال حديثه عن التربية المستقبلية، وهذا عكس ما كان متداول في القديم على أن التربية هي عبارة عن برامج دراسية وتعليمية تلقن في المدارس. فالمعارف التي طرحها من أجل مواجهة تحديات هذا القرن تخص بالضبط المنظومة التربوية ، فإصلاح التعليم هو الضامن الوحيد لمستقبل قابل للعيش، إذ حدد لنا موران سبعة مبادئ أساسية وضرورية التي ينبغي إدخالها على المنظومة التربوية من أجل إصلاحها، لأن التجزيء والفصل في المعرفة إلى تخصصات وفروع أدى إلى الضرر بها أكثر مما نفعها، ولهذا كان لزاما استحضار التركيب كبديل يواكب ويساير ديناميكية المعرفة، ونظرا للدور الكبير الذي تلعبه التربية في تغيير الذهنيات جعلها موران كرهان مستقبلي وذلك من خلال المعارف المعقدة التي تعمل على إرساءها كالهوية الأرضية المشتركة، وأخلاقيات الجنس البشري. فالتربية هي الروح العلمية للوعي بالمصير المستقبلي للإنسانية.

**5. قائمة المصادر والمراجع:**

**المصادر:**

إدغار موران، (2002)، *تربية المستقبل -المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل-*، ترجمة عزيز لزرق ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

إدغار موران، (2009)، *النهج إنسانية البشرية-الهوية البشرية*، تر: هناء صبحي، ط1، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبوظبي.

إدغار موران، (2012)، *هل نسير إلى الهاوية؟*، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب.

إدغار موران، (2013)، *المنهج معرفة المعرفة*، ترجمة يوسف تيبس، الجزء 3، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

إدغار موران، (2016)، *تعليم الحياة بيان لتغيير التربية*، تر: الطاهر بن يحي، ط1، منشورات الضفاف، بيروت.

إدغار موران، (2019)، *السبيل لأجل مستقبل البشرية*، تر: بشير البعزاوي، ط1، منشورات الجمل، بيروت.

إدغار موران،(2009)، *إلى أين يسير العالم؟*، تر: أحمد لعلمي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.

Edgar morin, (1986), la méthode ,la connaissance de la connaissance, éditions du seuil, Paris.

Edgar Morin, La Complexité Humain, Flammarion, paris, France, 1994

Edgar Morin, Les Sept savoirs Nécessaires a l'éducation du futur, UNESCO, 1999 .

Edgar morin,( 1991), la méthode :les idées, leur habitat, leur meures, leur organisation, éditions du seuil, Paris.

Robin Fortin, Comprendre la complexité, introduction a la méthode d'Edgar Morin, édition l'harmattan, paris, 2000.

**المراجع:**

أندري لالاند، (2001)، *موسوعة لالاند الفلسفية*، تر: خليل أحمد خليل، مجلد 1، ط2، منشورات عويدات، بيروت.

جميل صليبا، (1982)، *المعجم الفلسفي*، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

زهير لخويلدي، (2013)، *تعقد الطبيعة البشرية عند إدغار موران*، موسوعة الفلسفة الغربية (صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج)، ج2، ط2، دار الأمان، الرباط.

يوسف تيبس، (2000)، *نحو براديغم جديد*، مجلة رؤى تربوية، العدد 29، المغرب.